الروائيون الإماراتيون يكتبون بترف

علي أبو الريش : المثقف العربي ممسوخ ولا قيمة له

يعد الروائي علي أبو الريش اكثر الروائيين الإماراتيين حضوراً في الميدان الروائي ، ولا يمكن للنقد الأدبي أن يغفل تجربته المتواصلة في الكتابة الروائية ، وإذا كان أبو الريش يستجيب لنزعة قروية صميمية في كتابته فإنه يعدّ قريته "المعيريض" هي مركز الكون ومنها يغترف موضوعاته الأثيرة ومنها ينطلق الى العالم الروائي الذي يسكنه.

وارد بدر السالم

نشأ أبو الريش في " المعيريض " في إمارة رأس الخيمة ودرس فيها .وأكمل دراسته الجامعية في عين شمس في جمهورية مصر العربية عام ,١٩٧٩

أصدر مجموعة قصصية واحدة ومسرحيتين وتسع روايات هي : الاعتراف / عام ١٩٨٢ والسيف والزهرة / ١٩٨٤ / ورماد الدم / ١٩٩٢ / ونافذة الجنوان / ١٩٩٣ / وتل الصنم / ١٩٩٥ وثنائية مجبل بن شهوان / ١٩٩٧ / وثنائية الروح والحجر التمثال / ٢٠٠١ / وزينة الملكة / ٢٠٠٤ / وسلايم:

❖ "لا كائن يستحق التقديس غير الرواية..الرواية هي السؤال اللامنتهي..الرواية مساحة الإنسان الواسعة.. جاء ذلك في شهادة لكم بعنوان " جمرة الرواية..مسعر القلب" لماذا لا ينسحب هذا التقديس على بقية الفنون؟ ما هي فضيلة الرواية؟

. بداية أعترف أنها مسألة لا شعورية أن أقدس الرواية على وجه الحصر، ولكني أقدس ثلاثة أشياء : المعيريض والمرأة والرواية، وهذه مسألة عاطفية تخصني حتماً. أرى أن الرواية هي المنبر الديمقراطي الأوسع بالنسبة لنا نحن العرب، كوننا نعيش القمع في كل مجالات حياتنا، ولا نجد الحرية الواسعة إلا من خلال الرواية وهذا ينسحب على القارئ أيضاً الذي يجد شيئاً من المصالحة بينه وبين الكاتب للخروج من شرنقة الخوف من خلال الحوار اللاشعوري مع عالم الرواية وشخوصها المتحررين.، وإذا عملنا مقاربة أولية بين الرواية والشعر، نجد أن الشعر متجذر فينا عبر عمقه التاريخي؛ لكنه يبقى دفقة سريعة وومضة لحظية، إنما الرواية هي ديوان الأدب وهي الجامع والشامل والكامل لكل الأجناس الأدبية، فمن خلالها يُمرر الشعر والقصة والمسرح، لأنها قاموس الأجناس الأدبية، لكن للأسف وحتى الآن فالرواية لم تأخذ مكانتها الجديرة بها لدى المثقف العربي، لذلك نشعر بالتفجع لهذه الفجوة التي تفصل العمل الروائي وبين فهم الآخر لها.

❖ أيضاً قلت أن الرواية سليلة القرية وكذبة من أنها بنت المدينة.. ما دليلك على ذلك؟

. كان ذلك في إحدى الندوات الأدبية في دبي وكانت لي كلمة قلت فيها ان الرواية هي ابنة القرية وليست ابنة المدينة وهذا ليس تحيزاً للقرية، إنما هو الواقع وهذه قناعتي، فكانت ثمة ردود فعل انفعالية من قبل كاتبنا الكبير حنا مينه وتشنج كثيراً، لكن من حق الإنسان أن يبدي رأيه ويتشبث بقناعاته، ولماذا نعتقد أن الرواية ابنة المدينة؟ ألأنها نشأت في أوربا؟ في وطننا العربي لا توجد مدينة أساساً بالمعنى العلمي لمفهوم المدينة، إنما لدينا مجمع لأرياف وقرى كبيرة، والمدينة مرتبطة بالصناعة كما هو معروف ونحن لا نستطيع أن نصنع حتى الإبرة! وحسب الرأي القائل أن الرواية ابنة المدينة، فمعنى هذا أنه لا توجد لدينا رواية عربية لأننا بلا مدن ! ولكن وبغض النظر عن ذلك لابد من أن أشير الى النص القرآني بسرده الذي يوظف فيه القصة والحكاية، لأنه أساس السرد العربي مع أن نصوص القرآن الكريم نزلت على مجتمع بدوي لا علاقة له بالحضارة.

❖ ولكن الثورات الصناعية في المدن الكبيرة خلقت نظاماً حياتياً جديداً وأنتجت معه إشكاليات اجتماعية وأخلاقية واقتصادية جديدة، مما يتطلب البحث في هذه المجتمعات الصناعية القائمة على فكرة التطور الصناعي..والرواية قادرة على أن تنتج نصوصها من تلك المجتمعات؟

. أنا لا أنفي أن المدينة ليست لها علاقة بالرواية، لكنني أقول أن الرواية العربية نشأت في القرية ونمت معها الى أن وصلت الى المدينة، فالمدينة لها رواياتها بالطبع، وكل مرحلة من المراحل الإنسانية التي تمر بنا هناك ما هو متجدد،والشعور الروائي الذي امتلكه هو ليس بفعل اللحظة، غير أنه لا شعور جمعي جاء نتيجة لموروث اجتماعي ورثته وربما في بعض الأحيان لا أعيه أساساً..

❖ هل نستعرض شيئاً من سيرة الرواية الإماراتية؟ كيف نحدد ملامحها؟

. حتى الآن لا يمكن أن نقول توجد رواية خليجية فكيف نقول بوجود رواية إماراتية ! لكننا نقول هناك تجارب روائية فردية بعضها جميل كرواية " الديزل " لثاني السويدي وهناك من يكتب الرواية لأغراض الترف ! ويبقى على الهامش، والفرق هنا بين من يشتغل على الرواية كهم ومشروع فني وبين من يكتب لمجرد أن خطرت على باله فكرة ويقول : لماذا لا اكتب رواية؟ وستلاحظ الفرق بين الاثنين. أنا أرى أن على الروائي أن يكون مسكوناً بهاجس الرواية ولديه مشروع روائي متصل؛ وأنا ضد الكتابة الترفيهية التي لا تنتج عملاً جيداً بالنتيجة، وإذا فحصنا المشكلة من جوانبها المختلفة سنجد أنها متشعبة،لا توجد لدينا رواية ولا قصة قصيرة. اختفى هذا الفن. أين كتّاب القصة القصيرة؟ لدينا اتحاد الكتاب ولكن ليس لدينا كتّاب !

❖ يلاحظ أن معظم الروائيين الإماراتيين يكتفون بكتابة رواية واحدة وينسحبون.. ما تعليلك لهذه الظاهرة؟

. الأغلبية كما قلت تكتب بترف أو على طريقة (حشر مع الناس عيد) كما تقول العرب.. الروائي عندنا يكتب رواية واحدة ويمضي الى حال سبيله، ونحن الآن نقع في خطأ تاريخي كبير، لأن أغلبيتنا تأخذ أمر الكتابة وكأنه مسألة كمالية وترفيه، وعادة ما يتحججون بالمشاغل اليومية والحياتية، وبصراحة اعتبر هذا الأمر بمثابة شتيمة للكتابة !

. ألهذا السبب بدت الرواية الإماراتية ذات بناء تقليدي وغير فاعل فنياً قياساً الى نظيراتها في الوطن العربي؟

. بصراحة أنا ضد قولبة الإبداع. فعندما يكون هناك عمل إبداعي روائي مهم في سوريا أو العراق أو مصر أو المغرب العربي ينبغي أن يكون هناك عمل مماثل في الإمارات..لماذا؟ لأن ثقافتنا مشتركة وحضارتنا واحدة وامتداداتنا الفكرية واحدة ولا توجد حدود تمنع مثل هذا التلاقح، ومن الخطأ أن نتماهي مع التأطيرات السياسية العربية، فكل المفاتيح الإبداعية متوفرة لدى الأدباء الإماراتيين ولكن لو كانت هناك إمكانيات نفسية وليست تجارب، فالتجارب اختلطت ببعضها، فما يحصل في أي جزء من العالم أعيشه الآن بسبب اقتراب العالم من بعضه، وما عادت التجارب محصورة في إقليم معين أو وطن معين. التجارب الإنسانية تشابكت وأصبحت واحدة. ولكن مشكلتنا مع أصحاب الروايات الواحدة لو قارنتها مع الروايات العربية الكبيرة ستجدها سرداً قصصياً ضعيفاً أو حكاية لا يوجد فيها هم وتكتب كيفما اتفق غير مستوفية للشروط الفنية.. هذا هو واقع الحال للأسف الشديد..

❖ وما هي بلاغة الرواية؟

. الإبداع الروائي لا يأتي من الخارج..الإبداع هو الذي يستفزك ويكتبك.الرواية هي التي تكتبك لا أنت الذي تكتبها.الكائن الآخر المضاد لك. الرواية كائن حي يسير على قدمين يواجهك ويريد أن يعبر لك عن نفسه وعن خلجاته وكل ما يحيط به ككائن حي، لكن للأسف الشديد البعض لا يريد أن يتفاعل مع هذا الكائن الجميل.

❖ أولى الملاحظات على الرواية الإماراتية هي العلاقة الجدلية بين الماضي والحاضر، هل هذا حنين الى الماضي البسيط (بحر وصحراء) أمام الزحف الصناعي والتكنولوجي؟ وهل هو توثيق شرعي الى هوية محلية أصيلة قد تتوارى أمام مد العولمة؟

. أي كاتب يريد أن يوثق ذاكرة البحر والصحراء بإمكانه أن يفعل ذلك وينشره في جريدة يومية، لكن العمل الروائي ليست له علاقة بالعمل التسجيلي، إنه شأن مختلف تماماً. حتى الذي يريد أن يكتب عن الصحراء قصة أو رواية عليه أن يعرف الصحراء وامتداداتها الروحية والنفسية وعلاقتها الجدلية في التكوين، التي هي جدلية الخلق والإبداع، لأن ما من مدينة أو قرية نشأت إلا من ذلك الإلتصاق بين الإنسان والصحراء أساساً، لذلك ليست القضية مجرد حنين، وحتى الذين يكتبون من باب الحنين عن تلك العوالم البكر هو حنين مصطنع ليست له علاقة بجدلية التكوين والخلق، أرى أنه كيف نتعامل مع نشأة الصحراء التي هي في أساسها نشأة الكون كله، لكنك تقرأ في بعض الروايات عن علاقة البدوي بالصحراء أو علاقته بالجمل أو بأية دابة أخرى وتجده بعيداً عن العمل الروائي كلياً.

❖ تطمح رواياتك الى أن تؤسس لرواية إماراتية حديثة وهذا واضح من الغزارة في إنتاجكم الكمي والنوعي..ما الذي تريد أن تؤسسه فنياً؟

. كما أؤمن بأهمية الأرض والمرأة أؤمن بأهمية الرواية، وأي مجتمع يخلو من الإبداع الروائي هو مجتمع قاحل ولا يستحق أن يعيش ! وبالتالي عندما بدأت تجربتي الروائية لا لمجرد كتابة رواية واحدة كما بدأ الآخرون؛ إنما بدافع روائي يسكنني تماماً ويستفزني على نحو غريب. وما موجود من قوالب إسمنتية وحركة وضجيج وصراخ لا يهمني حقيقة ولا يعنيني، أنا يعنيني ما يجول في داخلي بشعوري المستمر من أن كائناً آخر في أعماقي يريد أن يقول شيئاً وحتى هذه اللحظة أشعر أن ذلك الكائن لم يقل كل شيء بعد وأتمنى أن تهيأ لي الظروف لأواصل هذا البوح.

❖ تتكرر " المعيريض " في رواياتك.. وهي قرية صغيرة في رأس الخيمة.. أسأل عن هذا الإنتماء الوجداني والأخلاقي الى قرية غير معروفة.. هل المعيريض نقطة انطلاق من هامش صغير الى مركز كوني أكبر؟ هل أصبحت رمزاً كما فعل بدر شاكر السياب حين كتب عن قريته " جيكور"؟

. لم اشعر ولا في أي يوم بأن المعيريض هي هامش نقلني الى المركز. المعيريض تعني كل الكون ومركزه. وعندما يقال أن المرأة نصف المجتمع فأنا أقول أنها كل المجتمع وكذا معيريض هي الكون كله وهي ليست هامشاً في خريطة العالم.

❖ تقنية الإسترجاع وتيار الوعي والتدفق الشعري أهم ميزاتك الروائية وتكاد رواياتك تتشابه فنياً.. لماذا هذا الأسلوب الواحد؟

. تخلصت في رواياتي من الزمن الواقعي والمكان الواقعي وأصبحا لا زمناً ولا مكاناً. الزمن الحقيقي هو زمن اللاشعور، زمن الداخل الممتدة جذوره منذ بدء الخليقة. لذلك أسلوب التداعي هو الأسلوب الأمثل لي، فهو يعطيني الفرصة لأن أقارب ما بين زمني الواقعي وزمني الداخلي..الزمن الواقعي أصبح فجاً وباهتاً. الزمن لا قيمة له. الزمن الداخلي هو الأساس والمؤسس للكون كله.

❖ لكن رواياتك تنطلق من الواقع الحقيقي لا من (اللاواقع) و (اللازمن) الذي تشير إليهما.. ما هي مساحة الخيال في تجربتك إذن؟

. طبعاً أنت لا تستطيع أن تحلق فوق الأرض وأنت تمشي على قدمين. هناك فرق بين الواقع كواقع والواقع المرتبط بشعور جمعي.والأخير هو الذي يهمني. فالزمن اللاشعوري هو زمن مفتوح ولا يسكن في حدود ضيقة..الرواية على وفق هذا التصور هي المنتجع الوحيد الذي يعيش فيه الإنسان للتخلص من كل الأطر والقوانين والشرائع التي سنّها البشر، تلك الشرائع الفجة التي حطمت كل ما هو جميل في الإنسان.

❖ في روايتك " ثنائية مجبل بن شهوان" طرحت نموذج المثقف الإشكالي، المتمرد، المأزوم، العصابي الذي يعيش صدمات متكررة وكثيرة : هل هذا المثقف هو شخصية عامة يمكن تعميمها على المثقف العربي؟

. نعم هو مثقف عربي وإنسان عربي عام. نحن المثقفين مخصيون ثقافياً واجتماعياً وسياسياً ودينياً. ومشكلتنا إننا عشنا الكذبة وصدقناها وعشنا الوهم وصدقناه واعتبرناه هو الحقيقة وصنعنا منه أصناماً وجلسنا نعبدها لسنوات طويلة، والنتيجة كانت كذباً، فمشكلتنا الأساسية حينما وضعنا السقوف الضيقة الخطيرة فوقنا واعتقدنا أننا نمتلك الحقيقة، لكننا في الواقع لم نمتلك إلا غبار الريح. عشنا فترة ذهبية في زمن ضيق جداً هو زمن "المعتزلة" لكن تلك المرحلة أجهضت فرجعنا الى البداية.. وهنا نتساءل : من نحن كعرب أمام العالم؟ لا شيء أبداً والمثقف هو إفراز من إفرازات المجتمع العربي، يمكن أن يكون الإنسان البسيط أكثر وعياً منه،لأن المثقف وضع تلك السقوف وراح يعبدها معتقداً إنه الفاهم الفهيم والأعظم العظيم ! بصراحة نحن مساكين ومغلوبون على أمرنا، فُجعنا بقوانين وتشريعات وأنظمة كانت كلها كاذبة..

❖ هل تريد أن تصل في روايتك الى أن المثقف العربي ممسوخ؟

. ممسوخ وأكثر من ذلك وقد لا يكون شيئاً أبداً ولا قيمة له.. أدخل في ردهات مؤسساتنا الثقافية تبادل الحديث مع كبار المثقفين فستجد في كل واحد منهم دكتاتورا ضخماً وخائفاً وجباناً، نحن كأفراد فينا دكتاتوريات أعظم من دكتاتوريات الساسة وافظع..مشكلتنا أيضاً أننا لا نقبل الحوار مع الآخر ولهذا فهزائمنا من أنفسنا وليست من الآخر.

❖ أنت تركز على " الثنائيات" في رواياتك، فهناك " ثنائية مجبل بن شهوان" و " ثنائية الروح والتمثال...ما الذي تعنيه؟

. نحن العرب بالذات نعيش هذه الثنائيات يومياً. خذ علي أبو الريش منفرداً مع نفسه، ستراه يختلف عن هذا الذي تحاوره الآن.وأنت والآخرون كذلك. هذه الثنائيات منسحبة من موروث ثقافي واجتماعي. كل واحد منا يحمل شخصيتين متناقضتين. وهناك من يقدم نفسه على أنه شجاع وفي داخله جبان حقيقي..هذه هي المسألة.

❖ في رواياتك تتكرر شخصيات : المعتوه والضرير والعاجز جنسياً وغيرها..هل تريد فضح الواقع عبر هذه الشخصيات الهامشية؟

. أنا أعتز بهذه الشخصيات وأقدرها وباعتقادي أنها شخصيات عبقرية في المجتمعات، لأنهم نتاج تلاقح خاطئ في المجتمع، فالمجتمع لا ينتج معتوهاً بالمصادفة، لا توجد مصادفة مطلقاً، بل هناك قصدية بإلقاء هذه النماذج الى الشارع، وحتى العاجز جنسياً هو نتيجة حتمية لإخصاء اجتماعي وثقافي.

❖ هل من فكرة فلسفية وراء عالمك الروائي؟

. اعشق الفلسفة لأنني درست علم النفس عن حب وأعتقد أن الإنسان الذي لا يقرأ الفلسفة وعلم النفس لا يمكنه أن يعيش في الحياة.وما أخطاؤنا الكبيرة وزلاتنا الفظيعة إلا نتيجة لعدم فهمنا ماذا تريد الفلسفة أن تقول، وإذا قدمنا شيئاً الى العالم ذات يوم فلابد من ان يكون من الفلسفة لأنها هي التي تفتح أبواب الفهم والوعي لهذا الكون، وهي التي تطلقنا خارج السقوف الى الكون الفسيح.

❖ برغم نتاجكم الغزير في الرواية إلا أنه لم يُلقَ عليكم الضوء النقدي عربياً بما يوازي ما كتبتموه.. هل تشعر بشيء إزاء ذلك؟

. ممكن أن تكون وسائل الإعلام جزءاً من هذا وذاك، لكن المشكلة في الشللية التي كونتها ضحالة الوعي لدى البعض من النقاد، وعليك أن تكون علاقة شخصية مع الناقد وأنا لا أهتم بهذا الأمر صراحة ولا يعنيني، ولا أحبذ أن أرسل رواياتي الى السيد الناقد ليكتب عنها، فأنا لست مطرب "فيديو كليب " لأوزع أشرطتي هنا وهناك ! أنا أكتب وأترك ذلك للزمن وليس مهماً أن يعرفني هذا الناقد أو ذاك..

في ذكرى وفاته

حسين مردان شاعر التحديث

المدى / الثقافي

في الرابع من تشرين الأول عام ١٩٧٢ رحل الشاعر حسين مردان وغادرنا مشيعا من الباب الرئيسة لاتحاد الأدباء في العراق محمولاً على اكتاف زملائه ومحبيه من أدباء وشعراء.

خمسون عاماً هي سني حياة هذا الشاعر الذي حمل الخشبة بالعرض للشعر العمودي ولج في محاولة ابتكار لغة أخرى تبرهن على شاعريته دون ان تتغلق بين فكي الشطرين التقليديين محاولاً تأثيث شعره بنسق آخر يخرجه من أمبيق الخليل الفراهيدي.

لم تكن محاولة حسين مردان فريدة وحدها فقد عاش حياته المتعبة ضمن لجة من انثيالات الدعوة إلى التحديث الثقافي في مجتمع بداية الخمسينيات من القرن الماضي.

كان السياب قد بدأ ومعه الملائكة والبياتي وبلند الحيدري وكان حسين علي مردان يبحث عن بداية تؤرخ له وقد استطاع عبر دواوينه وكراريسه الشعرية: رجل الضباب، نشيد الانشاد، قصائد عارية، الارجوحة هادئة الحبال، اغضان الحديد، طراز خاص، الربيع والجوع، هلاهل نحو الشمس، عزيزتي فلانة.

ولد حسين علي مردان في مدينة طويريج عام ١٩٢٧ لأب يتنقل في سلك الشرطة من مدينة إلى أخرى وقضى حسين الصغير فترة طفولته متنقلاً بين مدن الفرات الأوسط ليستقر بعد ذلك في مدينة الخالص حيث دخل المدرسة الابتدائية.

ولم يستطع حسين مردان اكمال دراسته العامة بسبب فقره المادي وضيقه بدرس الرياضيات لكنه عرف وهو صبي كيف يتذوق الشعر ويحفظه ويستجليه وبدأ يرسل مقطعاته الشعرية من مدينة بعقوبة . حيث استقر فيها . إلى الصحف المحلية ومجلة الأديب البيروتية وهي تحمل صياغاتها الخاصة بالنثر المركز كما أسماه حسين مردان أو بقصيدة النثر كما أصطلح عليها بعد ذلك.

تدريجيا، شكل حسين مردان بتمرده الحياتي الشخصي وشعره الغريب عن الذائقة العامة لونا من (الكاركتور) الخاص وحين تعرف عليه وفد من أدباء العاصمة زار بعقوبة متشكلا من فؤاد التكرلي وعبد الملك نوري وجد فيه لونا من الانشداد إلى التجريب والتحديث وهو ما كان الوفد القصصي الحداثي الزائر قد بدأ خطواته فيه على صعيد القصة القصيرة ولم يدفع حسين مردان إلى العاصمة إلا وعد من جماعة (الوقت الضائع) التي اتخذت مقراً لها في ساحة عنتر في مقهى اسمته مقهى (الواق واق) ان يستضاف في سطح المقهى حيث انتصبت غرفة صغيرة تجاور (البيتونة).

يقول حسين مردان انه لم يكن يملك المال للسفر إلى بغداد وهو لا يتعدى المائة فلس يومها فركب عربة حمل للخضار نقلته مجاناً على مدى ساعات إلى الأعظمية حيث حل في المقهى الموعود ضيفا دائماً (لفترة) على ذلك المقهى الذي دارت فيه اجتماعات جماعة (الوقت الضائع) وحواراتهم عن الفن والأدب الحديث حيث كان جواد سليم . النحات البارز . وشقيقه الرسام والقاص نزار سليم والدكتوران (فيما بعد) حسين هداوي ومحسن مهدي وعدنان رؤوف ونهاد وفؤاد التكرلي ابرز المساهمين.

من ساحة عنتر ومقهى (الواق واق) دخل حسين مردان عالم الصحافة مصححاً في جريدة (الأهالي) برفقة الروائي غائب طعمة فرمان (محرر الاخبار السياسية فيها) وعبد المجيد الونداوي (مدير تحريرها) حيث احتك بجو آخر من النشاط السياسي والثقافي ليعين محرراً أساسيا للصفحة الثقافية في جريدة (الاخبار) ليرعى نتاجات الأدباء الشبان (آنذاك) ومنهم زيد الفلاحي ونزار عباس وموسى النقدي وليجري أولى مسابقات القصة القصيرة للشباب التي فازت فيها القاصة سافرة جميل حافظ وكانت بداية شهرتها كقاصة مجددة لم تستمر طويلاً في الساحة الثقافية بعد ان اخذتها السياسة إلى شواطئ أخرى.

كان حسين مردان يثير بعد كل ديوان يصدر له ضجة في الصحافة الثقافية وقد سبب صدور له ديوانه (قصائد عارية) الضجة الأكبر لما تضمنته القصائد من خروج على تقاليد العصر فأحيل إلى المحاكمة وتوكل عنه المحامي الناقد محمود العبطة ولم تشفع للمحامي ولا لموكله كل تبريرات التحديث فحكم على حسين مردان بالسجن سنة واحدة قضاها في سجني بعقوبة والكوت ليخرج بعد ذلك إلى السجن الكبير وقد ازداد ثقافة ووعياً ليخوض هذه المرة معركته الأكبر مع فلسفة الحروفية في الفن التي كان يدعو لها الفنان شاكر حسن آل سعيد ولتتبلور بعد ذلك في رسالته الشهيرة (رسالة من شاعر إلى رسام) حيث ضم الرسالة إلى مقالة تحليلية عن شعر الجواهري واخرى عن قصص عبد الرزاق الشيخ علي حيث أصدرها في كتاب (مقالات في النقد الأدبي) وظلت حياة حسين مردان ساخنة شديدة الانفتاح على الجديد حتى وفاته في ٤ تشرين أول ١٩٧٢ وقد نتجت عنها تجربته الراسخة في قصيدة

فلنجعل من هذا الملتقى صدقة جارية في قانون

أمل الجبوري

نحمل تحيات الاتحاد بفرعه الرئيسي في برلين وفرعه الاول في بغداد الى ملتقى المثقفين العراقيين الاول ضيوفا ومنظمين، داعين الى اتخاذه مثابة لتأسيس تقاليد تشكل سياقا صاعدا بالابداع الثقافي، من الاستهلاك الى التجدد، ففضيلة التقاليد المؤسسة على سياقات، انها لاترتبط باشخاص، انما تديم نفسها بقوة المنجز الديناميكي الفاعل.. المؤثر الذي يرتقي بذاته المبدعة. واللجنة التحضيرية للملتقى مشكورة منحت السيد رئيس الوزراء الدكتور ابراهيم الجعفري فرصة التعبير عن صلاحيته كرئيس مؤقت لوزراء هذه المرحلة، بدعم الملتقى، لكن لو اريد للملتقى ان يصبح صدقة جارية، على مر الاجيال، فنتمنى ان يحيله الى نص قانوني. في دول العالم المتقدم. ومصطلح العالم المتقدم واسع بالقياس الى الزاوية الضيقة التي ننظر منها، اتمنى ان يكون فيما سأقول، تعريفا للعالم المتقدم، في ذلك العالم، اذا ماتبرع بنك ما او رجل اعمال لمشروع ثقافي او تظاهرة حضارية او مهرجان ابداعي، يعفى من الضرائب، واذا ما سن القائمون على الامر في العراق قانونا كهذا، فانهم سيحثون اصحاب رؤوس الاموال على دعم الثقافة في هبات غير مشروطة، كي لانقع" في فخ السجود من ثقل الاوزار" ثانية وثالثة، اذ كان المثقف العراقي يتقي غائلة الجوع وذعر الخوف بابداعه، محاباة للنظام السابق، والآن تتمزق ثقافته بين ولاءات وزعته حسب جدول المحاصصة، يستنفده ولا يقيم أود موازينه. نطلب من على هذا المنبر الكريم، سن قانون تقاعد للمثقفين يكفل شيخوختهم، ومخصصات تعضيد لنشر مؤلفاتهم، وفق توصيف قانوني بين. لقد هيأ الديوان، خطة عمل طويلة الامد، منذ عام مضى، وستستمر حتى تحقق مرادها، بالارتقاء بمدينة بغداد عاصمة للثقافة العربية عام ٢٠٠٨ كما اعلن ذلك من قبل اليونسكو انها خطة بحاجة لتضافر الجهود، لذا ندعو وزارتي الثقافة والسياحة وامانة بغداد ومجلس المحافظة والجمعية الوطنية ورئاستي الوزراء والجمهورية والشخصيات الفاعلة في المجتمع المدني، لمد يد العون لبغداد، كي تنهض بنفسها، لتنتشل ماتبقى من دارس حضارتها، فيشمخ بعد طول الم، لذا يحرجني الاحتفاء ببغداد، فردا يدعمني الالمان كما فعلوا بترميم البيوت التراثية في شارع حيفا على سبيل المثال لا الحصر وعائلتي ايضا، بينما صاحب الشيء اولى بحمله. ولكي نعيد بغداد المتخيلة الى الحياة بازقتها وحاراتها وماضيها، ولدت فكرة جمعية اصدقاء بغداد القديمة التي وضعنا نحن محبي هذه المدينة، عراقيين والماناً وربما سينضم الينا ايضا الاصدقاء الفرنسيون، برامج اقتصادية وهندسية وثقافية واجتماعية رئيسها الفخري شيخ بغداد العلامة حسين علي محفوظ وهي تدعو الان من هذا المنبر الموقر المهندسين والمعماريين وعلى رأسهم المبدع الكبير المهندس محمد مكية الذي كان يتوق الى مشروع يقيس الغائب على الشاهد اعتمادا على رسم بغداد بتداخل الحداثة مع الهوية المعمارية لها في التاريخ، مثلما هناك برنامج فني، ضمن مفاصل عمل " جمعية اصدقاء بغداد القديمة " يعنى به الرسامون والموسيقيون والفلكلوريون صناعة واتقاناً، هذه الجمعية انبثقت من رحم ديوان الشرق الغرب والمتحف الاسلامي في متحف برلين الكبير، هذه ليست اضغاث احلام فالالمان والسوريون اسسوا الجمعية نفسها ولكنها كانت لأصدقاء حلب القديمة ومن خلال مشروع استمر مدة عشرين عاما عادت الى الحياة مدينة حلب القديمة.. يأمل الديوان من متاحف العالم، ان تتبنى جمعيات مماثلة، مدنا مهمة في التاريخ الانساني والاسلامي والعربي مثل البصرة والموصل ومملكة ميسان واور وسامراء التي تعتبر اكبر مدينة اثرية معروفة حتى هذه اللحظة.. هذه الجمعية احد اشكال مقاومة الفناء الذي تاق الى نقيضه جدنا جلجامش، ونحن ايضا مع شكل اخر من اشكال المقاومة الادبية التي لاتنهج سوى الثقافة سبيلا سلميا، فينفذ الى اهدافها بنبل مسالم، لايريق قطرة دم بريئة.. المقاومة ليست بحاجة الى تعريف، لطول ماتوسلتها الشعوب دربا للكرامة، لكن لها في العراق الان توصيف مزدوج، فبقدر مايستفزنا الاحتلال، كوجود عسكري، يطوي مع صراخ الدبابات بروتوكولات تعيد خواطرنا الجريحة الى " حلف بغداد، هناك ايضا ارهاب الظلاميين الجدد، الذي يستلزم جهد وعي نافذ يوقف استباحتهم الدم العراقي واسترخاصه بلا سبب. الاصرار على البقاء هو واحد من نماذج مقاومتنا لثقافة العنف التي اودت بحياة زملاء ماتوا شهداء واخرين فروا للمنافي، نجاة بعوائلهم التي تلقت تهديدات مرعبة فقط لأنهم يفكرون بعقل جميل. كما نتمنى على جميع المثقفين ان يخلعوا جبة القضاة ويتصرفوا بحرية، تحترم حريات الاخرين، بل وتبحث عن سبل التوافق معها، واذا ما وجد متضرر، فلا حق له بالاقتصاص على طريقة القبائل الهمجية المندثرة بل يلجا الى القضاء الذي نفترض فيه النزاهة فهو الحكم بعد ان تكشفت الاوراق وسقطت اوراق البعض من الزملاء الذين كانوا يمنحون من منافيهم صكوك الوطنية ويمارسون سياسة التخوين والتهم المجانية.. ثمة تشكيلات ابداعية، في بغداد والمحافظات، تضم ادباء وفنانين، من مختلف الاختصاصات، يبحثون عن مقرات، بينما احزاب تحوسم مباني حكومية، عنوة، يكفلهم مسؤولون نافذون في الدولة يحققون لهم حوسمة رسمية. لا نعد بالكثير، لكننا سنقدم باليد، قليلا دائما، وحقيقيا، منه: ترجمة اعمال مهمة في الادب والفن من لغاتها اعني الادب العراقي المكتوب باللغات غير العربية الى لغتنا العربية ضمن ورش للترجمة بدأت اعمالها منذ عام تقريبا وسوف تركز كما فعلت مجلة ديوان للشعر العربي والالماني وهي المجلة الاولى والوحيدة في العالم على الثقافة العراقية خاصة ابداعات الداخل التي عانت الحروب والطغيان وهي اليوم ضحية حصار ثقافة العنف الظلامية.. هناك مسابقات سوف تكون دورية انجزنا الاولى منها والتي تناولت الشعر العراقي الحديث، وسوف تشمل القصة والرواية والمسرح والسينما والتشكيل. نواصل خطة الاحتفاء بمبدعينا ورعاية العلماء.. احدى ثروات العراق المهمة والاطفال اليتامى والمعوقين على وجه الخصوص، لذلك نتمنى على هذا الملتقى ان يوصي خيرا بالاطفال كي ينشأوا على حس وطني خالص، لا طائفية ولا عرقية ولا اثنية فيه، اتمنى ان نحد من زحف سرطان المحاصصة السياسية على الثقافة وتلك مهمة المثقف الواعي الذي يجب ان يبدأ من العائلة وينتهي بالدستور، فما يبقى يؤسسه الشعراء كما قال هولدرلين، ونقول ماتصدع يرممه المثقفون تحت المواطنة المطلقة لا نسبية فيها كما اتفقنا منذ البدء.

كلمة اتحاد ديوان الشرق الغرب في ختام ملتقى المثقفين العراقيين الاول ٢٠٠٥